المقامة

- المقامة لغة : من الفعل قام اي موضع القيام وتوسع لتعني في الاصل مجلس القبيلة وناديها .
- المقامة اصطلاحاً : هي نوع من الحكايا القديمة ، يتميز بخصائص معينة من حيث الراوي وبطل الحدث ، ومن حيث الاسلوب القصصي والبديعي والبلاغي حتى يمكن القول ان كل مقامة حكاية، ولكن ليس كل حكاية مقامة .
- او حكاية عربية أصيلة تتضمن مغامرات يقوم بها بطل معين ، ويسردها راوبطريقة أدبية بليغة ، وتختتم بموعظة أو طرفة .
- نص أدبي يقوم على الحكاية ويقوم على النظام فالحكاية معنى سردي والنظام ايقاع انشائيوان البناء الموضوعي للنص المقامي القائم على الهزل والاحتيال والكدية كان سببا في اهمال الاراء النقدية التي ترد فيه .

- ان مبدع المقامات بشكلها المعروف هو بديع الزمان الهمذاني (ت:398 هـ)، ولكن بعضهم يرى ان ابن دريد قد سبقه اليها وياتي بعد الهمذاني الحريري ويرى بعض الدارسين هو اشهر من نظم المقامات واليه يرجع الفضل في ذيوع هذا الفن الجميل .
- ومع أنه قد كتب المقامات في القديم أعلام كبار من أمثال الزمخشري والسيوطي وابن الجوزي والقلقشندي ، لكن مقامات هؤلاء لم تشتهر شهرة مقامات البديع والحريري ، لأن أصحابها لم يعنوا فيها بروح الفن الحقيقي ، فالزمخشري مثلاً قد مال في مقاماته الى جانب الوعظ والارشاد ، والسيوطي قد مال في مقاماته الى تصوير جمال النباتات والزهور .

خصائص المقامة

- المقامة في حقيقتها حكاية ، ولكنها تميزت منها بخصائص معينة ، قد أرسى قواعدها بديع الزمان في الكثير من مقاماته ومن أبرز هذه الخصائص :
- 1- وحدة الراوي : فهو واحد في مقامات الأديب كلها ، على النقيض من الحكاية العادية ، اذ قد نجد لكل حكاية قديمة راوياً مختلفاً عن الآخرفي الاخرى ، وهو في مقامات البديع : عيسى بن هشام . وينتمي البطل الى طبقة اجتماعية متوسطة .
- 2- وحدة البطل الذي يدور حوله الحدث ، فهو عند الاديب في المقامات واحد في الغالب على حين أن الحكايات العادية عند الاديب الواحد قد نجد لكل منها شخصية أساسية يدور حولها الحدث ، فبطل مقامات البديع هو أبو الفتح الأسكندري . وتنتهي القصة بانتصار البطل في كل مرة .
- 3- القصة : هي التي تدور احداث المقامة حولها والتي ترتبط بالراوي ، والبطل ، والشخصيات الثانوية الاخرى ، وعادة قد تشير القصة الى نكتة ، أو فكاهة معينة ، أو قد ترتبط بسلوك انساني معين ، أو بموضوع ما .

- 4- الاسلوب اللغوي والادبي : والمقامة فيه تميل الى الألفاظ الغربية ، والى المحسنات البديعية من جناس وطباق وتورية ،وذلك على نحو ظاهر أو متكلف على حينأن الحكاية قبل المقامات نجدها ذات اسلوب حرمرسل في الغالب واذن فعبارة المقامة تتقارب بلاغيا وموسيقياً من العبارة الشعرية .
- 5- تصوير المغامرة الطريفة:ذلك أن بطل المقامة يكون في الغالب عاثر الحظ على الرغم من علمه وثقافته ، و يلجأ الى الكدية في الحصول على لقمة عيشه ، والكدية هي احتيال المرء للحصول على المال أو الطعام من دون السؤال المباشر ، وينبغي ان نلاحظ ان هذه الحيلة في الكدية تكون في الغالب طريفة ظريفة مما يضفي على المقامة جواً من المرح والدعابة .ويوفر لها عنصر التشويق .
- 6- تهتم المقامة بالتعليم : اي انها تعمل على اثراء المعرفة الادبية واللغوية والنقدية وفي بعض الاحيان الاهتمام بجانب الوعظ والارشاد

- من أشهر المحاولات الحديثة في كتابة المقامات محاولة ناصيف اليازجي في مقاماته (مجمع البحرين) وقد اودعها ثقافته اللغوية الواسعة على نحو افقدها حيوية هذا الفن وظرفه .
- ومحاولة محمد المويلحي في كتابه (حديث عيسى بن هشام وهو راوية البديع ومن المحاولات الحديثة ايضا في كتابة المقامة كتاب ليالي السطيح لشاعر النيل حافظ ابراهيم .
- ويرى شوقي ضيف ان التعقيد اللغوي في كتابة المقامة عند بعض أدباء في العصر الحديث من أمثال اليازجي قد يكون هو السبب الحقيقي في أن ادباءنا المحدثين نفروا من الجري والسبق في هذا المضمار ، وكأنهم وجدوه لا يلائم الذوق الحديث .
- ويرى د.عبدالرحمن ياغي ان العنصر الدرامي او المسرحي يقف الى جانب العنصر اللغوي بحيث يفوق الكثير من العناصر القصصية ,

مجمع البحرين

- يعد ناصيف اليازجي واحداً من ثلاثة برعوا في كتابة المقامة وكتابه مجمع البحرين ينتمي الى هذا الفن وقد ضمنه ستين مقامة .. وكانت له في أوانه أهمية كبيرة ، وعند ظهوره عد فاتحة عهد جديد في الكتابة العربية
- وان عد الهمذاني امام هذا الفن فإن ناصيف قد تأثر بالحريري أكثر من تأثره بالبديع ومجمع البحرين لا يخرج عن الهدف العام للمقامة .. ففيه شيخ هو ميمون بن خزام وراويه هو سهيل بن عبّاد، وتدور مقاماته حول جملة من الالعاب البديعية والصناعات الشعرية والقواعد اللغوية كما فيه شيء من المعلومات الطبية والفلكية ومعرض لبعض الامثال العربية والاحاجي اللفظية .. يعود فيه ناصيف الى الاجواء العربية القديمة بما فيها من بداوة وعادات عربية قديمة .. وفيه ضروب من الحيل والمكر والخداع وهو ما يعطي صورة عن المجتمع وعن بعض الفئات به وبخاصة تلك التي تمتهن الدجل ومن أبرز ما تطالعنا مقاماته في مجمع البحرين ما يأتي :

- 1- كثرة التجوال فتارة نرى ميمون بن خزام في البادية وطورا في المدن يقول الراوية سهيل بن عباد ((مللت الحضر ، وملت الى السفر ، امتطيت ناقة تسابق الريح وجعلت اخترق الهضاب والبطاح ،حتى خيم الغسق وتصرم السقف ، فدفعت الى خيمة مضروبة ، ونار مشبوبة)ويكون لقاء سهيل بميمون بالبادية ... فيحدثنا اليازجي عن تقاليد العرب وعاداتهم وكل ما يمت اليهم بصلة .
- 2-الطب : وشيخ المقامات عالم في الطب ، يناقش فيه ويظهر معلوماته ومن أقواله : (يا بني لا تجلس الى الطعام الا وانت جائع ، وقم وأنت بما دون الشبع قانع وباكر في الغداء ولاتتماس في العشاء .. والزم الرياضة على الخلاء واجتنبها عند الامتلاء .)
- 3- الفلك : نسمع حديثا عن الكواكب والسيارات ومنازل القمر ... يظهر تبحر الشيخ في علم الكواكب .

4- اللغة :اذ يورد الكثير من النوادر اللغوية ، يظهر فيها اليازجي براعته في معرفة الكلمات المعجمية والنوادر اللغوية فهو تارة يقلب لفظة في حالاتها الاعرابية الثلاثية (الفتح والضم والكسر)، كما في كلمة الرخيص في المقامة البغدادية ، وتارة يطرح الاسئلة النحوية ..ما الفرق بين التمييز والحال ...

- 5- الاحاجي وهو ضرب من التلاعب بالمفردات والجمل ، جاء اكثره شعرا وقدجعل اليازجي من المقامة الرملية معرضاً لذلك .ومن ذلك ذكر الابيات العواطل التي لا تحوي كلماتها نقطاً:
- الحمد لله الصمد *** حال السرور والكمد
- والابيات المعجمة والابيات الملمعة ...

- 6- الحكمة : وهي كثيرة ومنتشرة في معظم المقامات .. الا ان، اليازجي يخصص مقامة سماها بالحكمية مليئة بالحكمة والعظة الاخلاقية .. من مثل قوله :
- يا بني ، لا تسلم نفسك الى هواك ولا تستودع سرّك سواك .
- 7- الوعظ الديني وتمتلىء مقامات مثل المعربة والتهامية والملكية بالوعظ الديني .
- 8- يكثر اليازجي من الامثال المأخوذة من ألسنة العرب أو المبتكرة : (لا ناقة لي في هذا ولا جمل)

- 9- يختتم اليازجي مقاماته بالمقامة القدسية حيث يعرض فيها ميمون توبته الى الله واعراضه عن الدنيا والعمل للاخرة . ((فبات يساهر الفرقد وهو لا يفتر عن ذكر الله ولا يمل من الصلاة)) .
- 10- مقامة اليازجي شديدة الشبه بمقامة الحريري من حيث تشابه البطلين في الخصائص والاحداث التي تجري لهما والعلم الذي يتوافر لهما . بل ان لهما النهاية ذاتها في التوبة والزهد كما بتشابهان في المادة والاسلوب وهي معرض للمعلومات العامة الطبية والفلكية واللغوية .

- 11- أسلوبها جاف ليس فيه حيوية .. يسيطر عليها تيار العلم أكثر من سيطرة العناصر الفنية الاخرى التي تكاد تقل حتى يبرز فيها الهدف الذي يريده الكاتب وهو عرض المعلومات ولكن بقالب خال من تشوق وانجذاب .. وبأسلوب خال من العناصر التي تشد القارىء اليها .وللبازجي كتب اخرى منها رسالة تأريخية ويدخل في باب النثر المرسل في الادب شرح ديوان المتنبي وفي اللغة : فصل الخطاب في الصرف والنحو. والطراز المعلم ارجوزة في البيان والمعاني والبديع .
- --

المقامة الرابعة والثلاثون وتعرف بالأدبية

- اعلم أن الأدب أشرف من النسب، واكتساب العلم خير من اكتساب النشب. والعلم بلا علم كالنحل بلا عسل. وصدق يضر، خيرٌ من كذب يسر. وانتشاب المنايا، وأيسر من ارتكاب الدنايا. واقتحام النار، أهون من التحاف العار. وداء الأسد أسلم من داء الحسد. والقناعة، نعم الصناعة. وحب السلامة، عنوان الكرامة. والنظر في العواقب، من أحسن المناقب.
- المصادر :

- 1 في النثر العربي وفنون الكتابة د. توفيق ابو الرب ، دار الامل للنشر والتوزيع ، الاردن .
- الادب العربي الحديث نماذج ونصوص : د.سالم المعوش ،ط1 ، دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع ، 1999 م.